البناء
السنة السادسة / الأربعاء / 22 نيسان 2015 / العدد 1763
Sixth year / Wednesday / 22 April 2015 / Issue No. 1763

سنة على رحيل من عاش ليروي وكتب ليبقى حيّاً... غابرييل غارسيّا ماركيز

عمر ح الدريسي

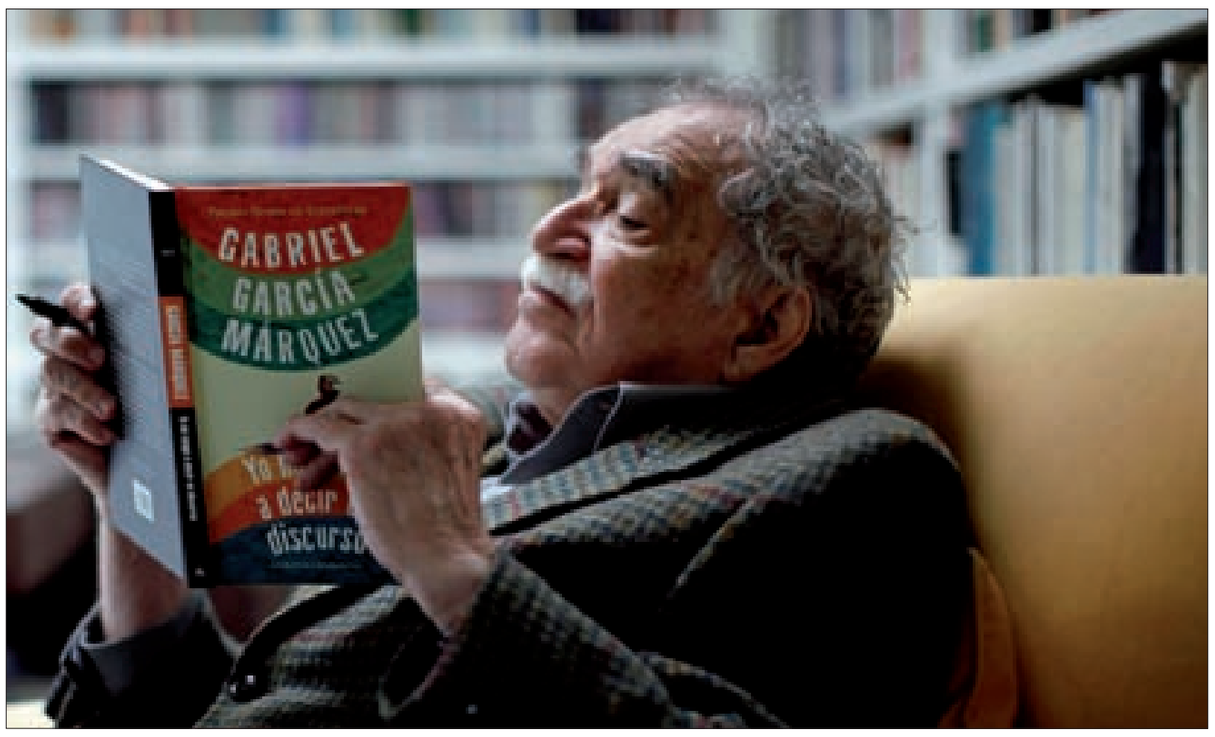

يوم 17 نيسان من هذه السنة، حلّت الذكرى الأولى لوفاة من عاش ليروي، «عشتُ لأروي» وكتب ليبقى حيّاً، «أكتب لأبقى حيّاً». الكاتب العظيم هو من يرحل جسده ويبقى عطاؤه ليحكي عنه دوماً، الكاتب الحقيقي هو من له قدرة الإصرار والإمساك فجأة باللحظة الدقيقة التي تنبثق منها الفكرة، «مثل الصياد الذي يكتشف فجأة، خلال منظار بندقيته، اللحظة التي يقفز فيها الأرنب». الكاتب العظيم هو من يعرف أنّ القصة تُولد ولا تُصنع، كما أنّ الموهبة ذات قيمة أساسية، إلا أنها بالطبع، لا تكفي وحدها، المهم لدى الكاتب الموهوب أن يتعلم، أن يمتهن ويَتَمَهْنَن، أن يرود أنامله على اجتراح الكَلِم، ويصقل قلمه على عذوبة الأسلوب، أن يعلم كيف يكتب بخبرة المُتعلم ووعي الإنسان الحكيم المثقف، المطّلع...، كيف يبدع، ليكتب بحبّ، ليسبر أغوار الذات والروح والنفس الإنسانية، ومن دون ضجر بالنسبة إلى القرّاء على اختلاف تنوّع ثقافاتهم ومرجعياتهم. فكيف اجتمع في كتابات ماركيز ما تفرّق في غيرها لدى الغالبية الساحقة من الكتّاب والمبدعين عبر الأصقاع؟

«عشت لأروي»

يُقال: «التعليم في الصغر كالنقش في الحجر» و«التعليم في الكبر كالنقش في الماء». دشّن غابرييل غارسيا ماركيز عهده مع الكتابة منذ الصغر، إذ يعترف: «كانت حكاياتي في معظمها أحداثاً بسيطة من الحياة اليومية، أجعلها أكثر جاذبية بتفاصيل متخيّلة كي يُصغي إليّ الكبار، وكانت أفضل مصادر إلهامي، هي الأحاديث التي يتبادلها الكبار أمامي، لأنهم يظنّون أنني لا أفهمها، فيشفّرونها عمداً كي لا أفهمها، لكن الأمر كان خلاف ذلك، كنت امتصّها مثل اسفنجة، ثم أفكّكها إلى أجزاء، وأقلبها لكي أخفي الأصل، وعندما أرويها للأشخاص أنفسهم الذين رووها في ما بينهم، تتملكهم الحيرة للتوافق الغريب بين ما أقوله وما يفكرون فيه».

«عشتُ لأروي»؛ يقول الروائيّ غابرييل غارسيا «إن نصف الحكايات التي بدأت بها تكويني، سمعتها من أمي. وهي لم تسمع مطلقاً أي كلام عن الخطاب الأدبي، ولا عن تقنيات السرد، ولا عن أيّ شيء من هذا. لكنها تعرف كيف تُهيّئ ضربة مؤثرة، وكيف تخبّئ ورقة آس في كمّها خيراً من الحواة الذين يخرجون مناديل وأرانب من القبعة. إن الشيء الوحيد الذي أثار اهتمامي منذ كنت طفلاً، أن يحبّني أصدقائي أكثر...». كانت رغبة طفولية بحق، نَمَت حقاً، بعطر الجبين وشجاعة الإبحار عميقاً بين سحر الكلمات وفنّ الحكي وروعة الحبك وسلاسة السرد وجمالية الصور والنصوص، حتى أصبح فعلاً محبوب العظماء وساحر القراء وملهم اليافعين ومثال الكتاب المبدعين.

مهمنة انتحارية

عاش غابرييل غارسيا ماركيز حقاً ليكتب ويروي، أصدر تأملات عن حياته، وهي شبه سيرة ذاتية موسومة بمصائب مؤلف كتاب، نشرها في تموز عام 1966، إذ عبّر قائلاً: «إن تأليف الكتب مهنة انتحارية، إذ ما من مهنة غيرها تتطلب قدراً كبيراً من الوقت، وقدراً كبيراً من التفاني مقارنة بفوائدها الآنية. إنني لا أعتقد أن عدداً كبيراً من القرّاء يسألون أنفسهم بعد الانتهاء من قراءة كتاب ما، عن عدد الساعات المؤلمة، والبلايا المنزلية التي مرت على المؤلف في أثناء تأليفه مئتي صفحة، أو ما هو المبلغ الذي حصل عليه لقاء عمله...».

ولاننسى الإحباط الشديد الذي عاناه الكاتب في بدايات مغامراته الإبداعية مع والده، ومع دور النّشر، التي غالباً ما كانت تحبطه برفض طبع أعماله، لا بل أنّ دوراً قدّمت له النّصح بالبحث عن مهنة أخرى غير مهنة كاتب. إلا أن مؤازرة زوجته مرسيدس له، وعزمه الفولاذي، وإرادته العجائبية على أن يكون محبوب الناس قولاً وفعلاً، خلقت منه البطل والساحر والعبقري، وكل هذا انعكس فعلاً على كتاباته بوضوح وجلاء، سواء؛ في المقالة الصحافية أو في القصة أو في الرواية.

السبب الذي يدفعنا إلى الكتابة

يتساءل الكاتب، على رغم إيمانه العمق، يقول: «أن أكون كاتباً من الكتّاب، ليس سوى إنجاز استثنائي، لأنني رديء جداً في الكتابة، وعليّ أن أخضع نفسي لانضباط بشع كي أنجز كتابة صفحة واحدة بعد ثماني ساعات من العمل. إنني أناضل نضالاً جسدياً مع كل كلمة، لكن الكلمة هي التي تفوز على الغالب، لكنني عنيد جداً، حتى أنني تمكنت من نشر أربعة كتب خلال عشرين سنة. أما الكتاب الخامس الذي أكتبه الآن، فكتابته أبطأ من كتابة باقي الكتب لأنني لا أملك إلا النذر اليسير من الوقت بين كثرة الدائنين وحالات الصداع».

فكان الجواب مجازياً «عشتُ لأروي»، لكنه كان بالفعل الجاد والعمل الخالد؛ إبداعات روائية عالمية. «عشتُ لأروي»؛ رواية «مئة سنة من العزلة»، رواية تتسم بالحكاية، وكأنها «ألف ليلة وليلة» الشرقية، والتسلسل غير المنسجم وكأنها بدايات بلا نهايات، صراع أسطوري عبر الأجيال، يروي الكاتب أحداث المدينة من خلال سيرة عائلة «بوينديا» على مدى ستة أجيال والذين يعيشون في قرية خيالية تدعى «ماكوندو»، من خلال الأحداث، عمل غابرييل غارسيا ماركيز - بشاعريته وخياله الثاقب وسحر حبكه الواقعي - على فضح تاريخ الحروب والدكتاتوريات في القارة المشبعة بالأسطورة والأبطال والطغاة. القارة التي لم تحظ ببرهة طمأنينة نتيجة العنف والمظالم، فعاشت عزلة قسرية، لذلك ربما عنون روايته بـ«مئة سنة من العزلة».

ولفكّ تلك العزلة عن المجتمع الأميركي اللاتيني، أتى الكاتب برواية «الحب في زمن الكوليرا»، إذ اعتبر الكاتب أن الاهتمام بالحب والجمال والرومانسية السبيل الأفضل للإبحار بأمان ضد الظلم والاضطهاد، وهو وقود الأمل في الحياة، «لقد كنت مؤمناً على الدوام بأنّ الحبّ قادر على إنقاذ الجنس البشري من الدمار، وهذه العلامات التي تبدو ارتداداً إلى الوراء، هي على العكس من ذلك تماماً في الحقيقة: إنها أنوار أمل». ويضيف: «إن هذا الحبّ في كل زمان وفي كل مكان، ولكنه يشتد كثافة كلما اقترب من الموت».

قلمه الصحافي

«عشتُ لأروي»؛ لم يكتف الكاتب بالرواية والقصة والمسرحية وباللغة الشعرية العظيمة الراقية وحسب: بل كان مناضلاً وإعلامياً، أعلن تخوّفه من السلاح النووي المنتشر عبر العالم مطلع القرن الواحد والعشرين، وتخوّفه من قتامة الأوضاع الاجتماعية والهيمنة والاستغلال الإمبريالي، أبدع في السرد والوصف وحبك الحكايات الممتعة التي تشدّ القراء شداً بليغاً، له مواقفه الواضحة في رواية «خريف البطريرك»، في مناهضة الاضطهاد والعنصرية والدكتاتوريات المتناسلة عبر العالم.

ربما كان يساريّ الهوى السياسي، تقدّميّ الأفكار والقناعات، يقول الجامعي البريطاني جيرالد مارتن مؤلف كتاب سيرة الروائي «غابرييل غارسيا» وترجمه إلى اللغة العربية الدكتور محمد درويش: «... كان بوليفار وآليندي ووفوينتس وعمر توريخوس وكور تاثار وكاستر ومن الذين احتفى بهم، وعزّز بهم مواقفه..»، إلا أن هذا لم يمنع غابرييل بحسب كاتب سيرته في نسج علاقات مع الشخصيات الغربية النافذة مثل فرنسوا ميتران الرئيس الفرنسي، ملك إسبانيا، عائلة كلنتون...

عام 2001، وبعد تردد كبير وللأمل في حياة أفضل لزوجته وأولاده، قال حين وقّع العقد مع هوليوود لتحويل رواية «الحبّ في زمن الكوليرا» إلى فيلم سينمائيّ: «لقد كبرت، وكل نفس ذائقة الموت، ولا بدّ من التفكير في تأمين مستقبل الأولاد، ومعهم زوجتي، التي أحبها منذ نصف قرن ولا أستطيع أن أغادر وأتركها في مهبّ الرياح ...».

إن تخلى بعض المثقفين العرب عن قضية فلسطين، لم يتخلَّ عنها غابرييل غارسيا ماركيز، بل دافع عنها عبر مواقفه الكثيرة المضيئة في مسيرته الحافلة بالمبادرات الخلّاقة؛ إذ نشر عام 1982 بيانه الشهير عن مجزرة صبرا وشاتيلا، وعام 2002، ندّد باقتحام القوات الصهيونية المدن الفلسطينية في الضفة، وأصدر البيان الناريّ الذي ندّد فيه بمواقف الكتّاب والمثقفين المتخاذلين في العالم، وقال في نهاية البيان: «لكل هؤلاء أقول أنا غابرييل غارسيا ماركيز أوقّع هذا البيان منفرداً».

الانسجام بين الخيال والقناعات والتصرّفات

رواية «قصة موت معلن»، تحكي عن جريمة قتل قام بها التوأمان «فيكاريو» دفاعاً عن شرف أختهما ضدّ سانتياغو نصار، ومع هذا، لم يتحرك أحد لمنع الجريمة... مع أن الأدلة لم تكن ثابتة على الضحية، هل معنى ذلك أن هذه المدينة بأجمعها، برجالها ونسائها وسلطاتها، لا بل أكثر من ذلك، أصدقاؤه أيضاً، كانوا يريدون الخلاص من سانتياغو نصار؟ ذلك في الرواية. أما الواقع، فعلى فراش المرض، غابرييل غارسيا ماركيز لم يستسلم، فكتب رسالة إلى أصدقائه ومحبّيه عبر العالم: «لقد تعلمت منكم الكثير أيها البشر... تعلمت أن الجميع يريدون العيش في قمة الجبل، غير مدركين أن سرّ السعادة تكمن في تسلقه... حافظ بقربك ممّن تحب، اهمس في آذانهم، إنك بحاجة إليهم، أحببهم واعتنِ بهم، وخذ ما يكفي من الوقت لتقول لهم عبارات مثل: أفهمك، سامحني، منَ فضلك، شكراً، وكل كلمات الحب التي تعرفها. لن يتذكرك أحد من أجل ما تضمر من أفكار...».

لقد غادر الكاتب هذا العالم منذ سنة، وهو الذي قال: «ليس العمر ما يملكه المرء من سنوات، بل ما يملكه من أحاسيس»، صاحب كتابة الإبداع السحري الواقعي، الحائز جائزة نوبل للآداب لعام 1982. منذ سنة، غادرنا الروائي العظيم، وذلك يوم الخميس 17 نيسان 2014، عن عمر ناهز 87 في منزله في العاصمة المكسيكية، بعد معاناة مريرة مع المرض، وقد نعاه آنذاك الرئيس الكولومبي بقوله: «العظماء لا يموتون أبداً». ونعاه أيضاً الكاتب الكولومبي الدكتور عمّار علي حسن، قائلاً: «البشرية فقدت واحداً من أعذب الأقلام، ومخيّلة من أخصب المخيّلات، وكاتباً كبيراً من كتّاب القرن العشرين».

لم ترحل السيد غابرييل غارسيا ماركيز، فأعمالك ستخلدك. لم تمت، إنّك حيّ في الكلمات... كل عبارة في أعمالك، درس بليغ وحكمة مستقلة، وحياة أخرى، تتجدد كلما وقعت عين قارئ عليها لما تمنحه له من روح ونفس وسحر وجمال... إنها فعلاً حياة وعي. حياة الإنسان كإنسان حقا. لا صورة وهيكل إنسان خالٍ من الإنسانية!

الخبر الثقافي

رحيل الشاعر المصري عبد الرحمن الأبنودي

وافت المنية عصر أمس الثلاثاء، الشاعر المصري عبد الرحمن الأبنودي عن عمر ناهز 76 سنة، بعد صراع طويل مع المرض. ويُنقل جثمان الشاعر الراحل إلى منزله، اليوم الأربعاء وستقام مراسم العزاء في الإسماعيلية.

شهدت حالة الأبنودي الصحية تدهوراً حاداً يوم السبت الماضي، إذ أُدخل مستشفى «المجمّع الطبي للقوات المسلحة» في القاهرة، وأجريت له عملية جراحية عاجلة يوم الأحد بسبب ترسّبات دموية في المخ.

وقالت زوجة الشاعر الراحل، الإعلامية نهال كمال، إن زوجها كان يعاني من صعوبات في التنفس بسبب حالة الرئة السيئة، إضافة إلى جلطات دموية رافقته في الفترة الأخيرة، ما تسبّب في عدم استقرار حالته الصحية.

ظهرت موهبة الأبنودي الشعرية منذ نعومة أظفاره، فأتقن الشعر العاميّ وتعلق بشعر المتنبّي وأبي العلاء المعري واعتمدهما أساساً ومقياساً للذوق الشعري والأدبي.

حمل الأبنودي اسم قريته «أبنود» التي ولد فيها عام 1939، ورحل إلى مدينة قنا في صعيد مصر حيث تفجرت قريحته الشعرية هناك، متأثراً بأغاني السيرة الهلالية التي كانت رائجة آنذاك.

قاد الأبنودي اهتمامه بالشعر إلى التحاقه بكلّية الآداب في جامعة القاهرة التي حصل منها على شهادة البكالوريس في اللغة العربية.

بوصلة الأبنودي كانت تشير إلى البسطاء من العامة، ووجد الرجل نفسه في الشعر العاميّ، وبدأ في نسج قصائد تبحث عن هموم المصريين وآلامهم، فصار شعره العاميّ متنفساً لملايين المقهورين والفقراء والمسحوقين.

عايش الأبنودي التحوّلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في مصر، وانتقد بشكل لاذع الرئيس المصري الراحل أنور السادات، كما تعرّض للسجن لمدة أربعة اشهر في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، على رغم تأييده له، وذلك على خلفية أشعاره التي انتقدت مسؤولين كباراً آنذاك، وسرت بين العامة كما النار في الهشيم.

ألّف الأبنودي 22 ديواناً شعرياً أبرزها: «الأرض والعيال» و«السيرة الهلالية» و«الاستعمار العربي» و«الزحمة» و«عماليات» و«جوابات حراجي القط» و«الفصول» و«أحمد سماعين» و«أنا والناس» و«بعد التحية والسلام». وتبقى قصيدة الميدان واحدة من أهم قصائد الشاعر الراحل، والتي أطلقها في ذكرى ثورة «25 يناير» 2011.

كما ألّف الأبنودي عدداً من الأشعار لمغنّين كبار أمثال عبد الحليم حافظ الذي كتب له: «عدّى النهار»، و«كل ما أقول التوبة»، و«أحضان الحبايب». كما ألّف كلمات أغنية «عيون القلب» لنجاة الصغيرة، إضافة إلى أغنية «آه يا اسمراني اللون» لشادية.

... والممثل ابراهيم يسري

ودّعت الساحة الفنية المصرية الفنان إبراهيم يسري عن عمر ناهز 65 سنة، وتزامن ذلك مع يوم عيد ميلاده، وذلك على إثر تدهور حالته الصحية.

نقل الراحل إلى مستشفى مصر الدولي اثر تدهور حالته الصحية بسبب مشاكل في الكلى، وأدخل إلى غرفة العناية المركزة لمدة يوم ونيف.

الفنان إبراهيم يسري من مواليد 20 نيسان عام 1950، التحق أولاً بكلّية التجارة ودرس بها لمدة سنتين، ثم التحق بالمعهد العالي للفنون المسرحية وتخرّج فيه عام 1975، حاصلاً على البكالوريوس في الفنون المسرحية، وانضمّ إلى مسرح الطليعة بعد ذلك، ثم اتجه إلى الأعمال الدرامية التلفزيونية.

وللنجم الراحل 126 عملاً فنياً متنوعاً بين السينما والتلفزيون والمسرح وحتى الفوازير. ومن أهم الأدوار التي قدّمها: هاني حافظ في «الشهد والدموع». كما مثل في «ضمير آبله حكمت»، و«ليالي الحلمية»، و«المال والبنون» و«عصر الأئمة». ومن الأفلام التي مثل فيها: ««الإرهابي»، و«امرأة هزّت عرش مصر».

اتحاد الكتّاب العرب يعلن فتح باب الترشّح لجوائز النقد والشعر والترجمة

اعلن اتحاد الكتّاب العرب في سورية عن فتح باب الترشيح لجوائز الإبداع في مجال نقد الرواية والترجمة والشعر.

ودعا اتحاد الكتّاب المثقفين العرب جميعاً للمشاركة في الترشيح لجائزة الابداع في مجال نقد الرواية على أن تمنح الجائزة للمراتب الثلاثة الأولى. ومقدار الجائزة الاولى 400 ألف ليرة سورية والجائزة الثانية 300 ألف والجائزة الثالثة 200 ألف. ويستقبل الاتحاد الاعمال المرشحة للجائزة لغاية 2015/6/18، علماً أنّ الاعلان عن النتائج سيكون في كانون الأول المقبل، إذ يقام حفل توزيع الجوائز بحضور النخب الثقافية العربية.

أما في مجال الترجمة فالجائزة التشجيعية عبارة عن مبلغ 75 الف ليرة ويستمر قبول طلبات الترشح لغاية 30حزيران 2015. وفي مجال الشعر، حدد الاتحاد الترشيح للجائزة المركزية العامة للشباب حتى سنّ 35 سنة من خارج أعضاء الاتحاد في مجال الشعر لأفضل ديوان شعر لعام 2015. وحدّد الجائزة الأولى بـ50 ألف ليرة سورية والثانية 35 ألف ليرة والثالثة 20 ألف ليرة. ويستقبل الاتحاد النصوص الشعرية المرشحة للجائزة لغاية 21 أيار 2015.

لوحات «بانكسي» في فلسطين قد تصبح موروثاً وطنياً

أعلنت الشرطة الفلسطينية أنها نجحت في إحباط محاولة لسرقة إحدى لوحات الفنان مجهول الاسم، المعروف بـ«بانكسي»، مرسومة على جدار أحد المنازل في بيت لحم.

واللوحة عبارة عن طفلة فلسطينية تقوم بتفتيش جندي «إسرائيلي» يرفع يديه على الحائط، وتقع قرب «قصر جاسر» التاريخي في بيت لحم، على مدخل المدينة الشمالي.

وأوقفت الشرطة أعمال قصّ اللوحة عن الحائط، والتحفظ عليها، بالتعاون مع موظفي وزارة السياحة وبلدية بيت لحم، الذين يعملون سوياً لاستصدار قرار يعتبر لوحات الفنان «بانكسي» وغيره من الفنانين العالميين الذين زاروا فلسطين، جزءاً من الإرث الوطني الفلسطيني، كونها جزءاً مهماً من أشكال المقاومة الشعبية للاحتلال «الإسرائيلي».

وهذه القضية ليست الأولى في ما يتعلق بلوحات الفنان البريطاني «بانكسي» في الأراضي الفلسطينية، إذ زار الفنان المنطقة منذ عشر سنوات تاركاً عدداً من اللوحات على الجدار الفاصل بين الضفة الغربية والأراضي المحتلة، وعلى جدران بعض المنازل العائدة لمواطني المدينة.

وأثارت لوحات «بانكسي» جدلاً وعدداً من القضايا القانونية وكان أولها يتعلق بقصّ صاحب أحد المنازل لوحة تحمل صورة جندي «إسرائيلي» يوقف حماراً، بقصد تفتيشه، وبيعها بمبلغ كبير جداً، لأحد السياح الذين زاروا المدينة.

ثم طفت قضية لوحات «بانكسي» مرة أخرى على السطح بعد قصّة بيع أحد المواطنين بابَ بيته المعدني الذي دُمّر في قصف «إسرائيلي» على غزة، وكان بانسكي قد رسم إحدى لوحاته على الباب، وبيع الباب بثمن زهيد لقيام المشتري بخداعه، بحسب تصريح البائع، وقد تحفظت الشرطة الفلسطينية في غزة مؤخراً على هذه اللوحة إلى حين يبت القضاء في مصيرها.

مكتبة «البناء»

«على مرمى رصاصة»... جديد طهران صارم

شذى حمود

«على مرمى رصاصة»، مجموعة شعرية جديدة للشاعرة طهران صارم، وهي عبارة عن مقطوعات نثرية كتبت بين عامَي 2011 و2013.

تعرضت الشاعرة في مجموعتها الصادرة عن «الهيئة العامة السورية للكتاب» إلى القضايا الاجتماعية وهموم الإنسان بفعل الأزمة في سورية وانعكاسها على الناس، ملتقطة بعض الصور الوجدانية من الشارع ومن خلال الناس البسطاء الذين تقتهم عن طريق الصدفة، وأثّروا فيها. إلى جانب بوحٍ داخلي لا ينفصل عن الواقع، وإن استخدم لغة خاصة.

واستطاعت الشاعرة في مجموعتها أن تبرز التحدّي الذي يتميز به الإنسان السوري والذي جعله يصبر ويتحمل ويتمسك بالأمل على رغم المعاناة والمخاطر التي يتعرض لها، إذ قالت في قصيدتها «عند إشارة المرور»:

يده الصغيرة المغبرة تمسح الزجاج
والأخرى تستجدي بعض النقود
أما عيناه فلونهما الأزرق يتوسّل منا الحياة.

وبحسب رأي صارم، فإن الصغار دائماً يدفعون ثمن الحروب والنزاعات لأنهم الحلقة الأضعف، فتختلف أحلامهم وتصبح مشوبة برائحة البارود بدلاً من الياسمين الذي يشبه الأطفال في بهائه وجماله:

نحن الكبار الذين لا نكفّ عن تزنير حياتهم بالبارود
في انتظار الموت أو الحياة
على شرفتي التي ربما تغدو عدماً بعد قليل
أو تبقى ليزهر ياسمينها.

يذكر أنّ للشاعرة طهران صارم مجموعتين شعريتين، الأولى عنوانها «لحن الغريب» عن «دار التكوين»، والثانية «بيدر فواصل» عن «دار بعل» في دمشق.

«سنحيا في ما تبقى»... آلام في لوحات للفلسطينيّ محمد الحواجري

المفارقة بين غزّة ومدينة البندقية، قادت الفنان الفلسطيني محمد الحواجري إلى مشروعه «سنحيا في ما تبقى». حصار غزة الخانق والعدوان «الإسرائيلي» الأخير كانا كفيلين بوضع سكان القطاع في منطقة رمادية، إلا أن سطوة الحياة على أهل المنطقة كانت أقوى. وعلى رغم الدمار الذي خلّفه العدوان، كان للألوان ردّ على كل هذا الموت المجانيّ.

يعتبَر محمد الحواجري من أبرز الوجوه الشبابية في القطاع، فهو لم يترك وسيلة فنية أو بصرية إلا واشتغل من خلالها. مقدّماً معاناة أهل غزّة ومفردات الحصار والحرب والخراب. مشروعه كان جواباً على سؤال الخراب والدمار اللذين خلفتهما طائرات «الإسرائيليين» ومدافعهم.

يقول: «سنحيا في ما تبقّى، كان مشروعي الفني الذي أنتجته أثناء إقامتي الفنية في البندقية، التي كانت بترشيح ودعم من دارة الفنون - مؤسسة خالد شومان وبالتعاون مع مؤسسة نوفا آيكون الإيطالية».

قساوة الحرب تركت الحواجري متجهماً غير قادر على بلورة فكرته بسبب الصدمة: «خرجت من غزة مباشرة بعد حرب بشعة عشناها أنا وعائلتي وجميع الناس في القطاع. كنت أنتظر الموت لشدة القصف العشوائي الذي تعرّضت له المنطقة التي أقطنها في مخيم البريج. وما بين غزة والبندقية أمر غريب، كأنني أعيش حالة فصام بين الموت الذي رأيته في مدينتي، والحياة التي أستمتع بها في البندقية».

يضيف: «قبل فترة تلقيت دعوة للمشاركة في معرض فني في القدس مع غاليري حوش الفن الفلسطيني، فقرّرت ربط واقعي وحياتي الجديدة في البندقية بواقعي الذي عشته في غزة. وكانت فكرة المشروع أن أعيش في ما تبقى من الحياة، وتقديم عمل يتمحور على محاولة إخراج الحياة من بين فكّي الموت».

أنجز الحواجري العمل خلال إقامته الفنية في البندقية، وعرض مشروعه أمام الجمهور الإيطالي الذي أعجب بالفكرة ومحتواها، موضحاً أن المفارقة والمقارنة كانتا من أهم أسباب إنجاز العمل.

ويصف إنجاز مشروعه الفني بأنه كان تحدّياً له، «كأنني أردت أن أثبت لنفسي أن الحياة مستمرة حتى بأبسط الأمور. تدمّر الحرب كل ما هو جميل في حياتنا، وكان تدمير البيوت هدفاً ممنهجاً في الحرب الأخيرة، ففقد أصحابها كل ما له علاقة بذكرياتهم منذ طفولتهم وحتى لحظات الدمار الذي جعلهم بلا ذكريات وبلا ماض، فكل ما كانوا يملكون أصبح ركاماً، وذهبت ذكرياتهم فيه تحت الأنقاض».

الأفكار التي حضرت في أعمال الحواجري هي من الناس وألوانهم. «نجد الناس بعد هدم منازلهم يبحثون عن الحاجيات والأغراض ليجدوا منها القليل القليل، أو أجزاء من ماضٍ جميل. هذه المشاهد جعلتني أفكر بمشروعي وكأن الفلسطيني يريد أن يقول إننا سنحيا في ما تبقى من أشياء بسيطة جداً، وسنبني لمستقبل كبير نورّثه للأجيال. والأجيال لا تنسى».

ترجم الفنان الفلسطيني معرضه بـ 13 صورة بأحجام مختلفة بتقنية الكومبيوتر مع فيديو مدّته دقيقة و20 ثانية، يعرض كعمل تركيبيّ متعدّد الوسائط، وعرض المشروع في «حوش الفن الفلسطيني» في القدس.

ويشير الحواجري إلى أن الصور التي استخدمت واقعية، والتقطت خلال فترة الحرب وبعدها. «لكن عملي الفني كان أكثر شمولية وهدفه البحث عن الحياة بين فكّي الموت، فكنت مهتماً بالصور التي تجسّد الإصرار على الحياة مثل تلك التي كان فيها أشخاص يبحثون عن بقايا من ملابسهم وأغراضهم المنزلية التي تساعد في تعزيز الصمود. وهذا جعلني أكثر تعمّقاً في المحاولة لإخراج الصورة من واقعها الذي كانت عليه عندما التقطت إلى واقع فيه أمل عبر التلاعب بالألوان».

ويضيف: «أسبغت ألواناً مبهجة على العناصر الأساسية، مثل الناس والبقايا التي كان يبحثون عنها، بالتزامن مع إعطاء خلفية تلك العناصر لوناً رمادياً موحداً، كي تأخذ الصورة فترة مختلفة ما بين العنصر الأساسي الذي كان يعني الحياة، والخلفية التي كنت أقصد بها الموت والدمار. هذا التلاعب أعطى الصورة بعداً يفتح الباب على التفكير لمعرفة حقيقة أخرى يعيشها أهالي غزّة، وهي فكرة الإصرار على البقاء على رغم ما يصيبهم من موت ودمار».